١

العبودية المطلقة للّه
- عز وجل -

بحث مقدم
للدكتور مدين عبد خلف
مديرية تربية صلاح الدين/ قسم تربية تكريت

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي-الجامعة العراقية
كلية التربية للبنات

الملخص

الحمد لله رب العالمين، وصلاه والسلام على نبينا محمد (ﷺ) وعلى اله وصحبه اجمعين. وبعد: -

فهذا ملخص للبحث الموسوم بـ (العبودية المطلقة للهُ عز وجل) ضمنته أربع مباحث.

تناولت في المبحث الاول مفهوم العبودية، وفي المبحث الثاني العبادة في الجاهلية، والمبحث الثالث العبادة في الاسلام، والمبحث الرابع الرق ومفهومه في الجاهلية والاسلام.

وقد ذكرت في هذا المباحث الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة المتعلقة بهذا المواضيع، كذلك ذكرت معاني مفردات التي اوردتها في هذا البحث من كتب المعاجم واللغة والتفسير والحديث، وتوصلت من خلال هذا البحث ان الرسول محمد (ﷺ) أبطل الكثير من عقائد الجاهلية، وان العبد في الاسلام من حيث الانسانية لا يختلف عن السيد، فهو يتمتع بكل ما يتمتع به المالك من معامله كريمة وخضوع للأوامر والنواهي.

Abstract

Praise be to God، Lord of the worlds، and peace and blessings be upon our Prophet Muhammad (□) and upon his family and all his companions.

And after: -

This is a summary of the research tagged with (absolute servitude to God Almighty) included in four sections.

In the first topic، I dealt with the concept of slavery، and in the second topic worship in pre-Islamic times، in the third topic worship in Islam، and in the fourth topic slavery and its concept in pre-Islamic and Islam.

I mentioned in this section the Qur'an verses and the noble Prophet's hadiths related to this topic، as well as the meanings of the vocabulary that I included in this research from the books of dictionaries، language، interpretation and hadith. Islam in terms of humanity is not different from the master، as he enjoys all that the owner enjoys in terms of decent treatment and obedience to

المقدمة

الحمد لله الذي خلق السموات والأرض، وجعل الظلمات والنور ثم الذين كفروا بربهم يعدلون، لا يحصي عدد نعمة العادون، لا يؤدي شكره المتحمدون ولا يبلغ مدى عظمته الواصفون بديع السموات والأرض، إذا قضى أمرا فإنما يقول له كن فيكون، أحمده على آلائه واشكره على نعمائه واستعين به في الشدة والرخاء وأتوكل عليه فيما أجراه من القدر والقضاء واشهد أن لا اله الا الله واعترف لا رب إلا إياه شهادة من لا يرتاب في شهادته واعتقاد من لا يستنكف عن عبادته وأشهد أن محمد (ﷺ) عبده الأمين ورسوله المكين حسن الله به اليقين بلغ الرسالة، ونصح الأمة وجاهد في سبيل الله المشركين وعبد ربه حتى أتاه اليقين فصلي اللهم على محمد سيد المرسلين وعلى اله وأهل بيته الطيبين وأصحابه المنتخبين وأزواجه الطاهرات أمهات المؤمنين والمؤمنات و تابعيهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد.

لعل الخيط الرابط بين كافة الأنبياء والرسل في دعوتهم إلى الله تعالى هو أن دعوتهم إلى توحيده تعالى تقترن بالدعوة إلى الاستقامة على هديه والتثبت بالأخلاق الفاضلة فكانت دعوة كل منهم إلى عبادة الله الى وحده إلى جانب هذه الدعوة تأتي الدعوة إلى إصلاح المجتمع وتنقيته من كل شائبة وآفة من آفات المعاصي ومزالق الخطايا وبذلك كانت دعوة الرسل تجمع بين ركيزتين أساسيتين يقوم عليها الدين هما:

* توحيد الخالق مع إصلاح المجتمع.
* الاهتمام بقضايا المجتمع الحيوية.

وبذلك نجد أن الأنبياء والرسل الكرام عليهم السلام كانوا يدعون أقوامهم وأممهم ومجتمعاتهم للابتعاد عن الشرك به سبحانه والأمر بتوحيده تعالى دون التفريط في إبراز الطريق إلى السلوكيات القويمة وإصلاح ما في المجتمع الإسلامي فرسولنا الكريم (ﷺ) الذي بداء دعوته من مكة المكرمة معتمدة فيها بدعوة الناس إلى توحيد رب العباد وترك عبادة الأصنام ورافقت دعوته الجليلة هذه دعوة عظيمة إلى مكارم الأخلاق والبعد عن انحرافات المجتمع الجاهلي آنذاك فعندما بعث رسولنا الكريم (ﷺ) وجد أن ذلك المجتمع فاسد بفساد الجاهلية منهار من جميع جوانبه ونواحيه فعزم (ﷺ) على إصلاح ذلك المجتمع لان الإصلاح ينتشر كما ينتشر الفساد و الهداية تنتشر كما ينتشر الضلال فلقد وضع رسولنا الكريم (ﷺ) للإصلاح منهجا قويا متكاملا بحيث لو طبق هذا الإصلاح في مجتمعنا الحالي وفق هذا المنهج لأنتشر العدل والأمن والرخاء والطمأنينة فالواجب علينا هو إتباع منهجه (ﷺ) وتطبيقها لقوله تعالى: ﴿وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله﴾ [سورة الأنعام: ١٥٣]

لذلك أردت في هذا البحث تسليط الضوء على منهج رسولنا الكريم (ﷺ) وأن أبين كيف عالج (ﷺ) القضايا التي كانت موجودة في المجتمع الجاهلي

لتوضيح الحق وبيانه للناس حتى يعاد تطبيقه في معالجة القضايا التي رجعت الينا بعد الإصلاح الذي قام به رسولنا الكريم (ﷺ) ولهذا اخترت لهذا البحث عنوان (العبودية المطلقة لله – عز وجل –).

ففي بداية الأمر واجهت صعوبة حيث لم تكن لدي المعلومات الكافية حول الموضوع وبعد الهداية والتوفيق من الله تعالى، وجمعي لمفردات البحث وقراءتي لها قراءة مستفيضة واطلاعي على الأدلة من القران الكريم والسنة النبوية الشريفة التي تتحدث عن كيفية معالجته (ﷺ) لتلك القضايا فتكونت لدي المعلومات والمفاهيم الكافي لبدء بمشروع البحث لذلك فان خطة البحث قسمتها إلى مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة ذكرت فيها أهم النتائج وهي كالتالي:

المبحث الأول: مفهوم العبودية.

المبحث الثاني: العبادة في الجاهلية.

المبحث الثالث: العبادة في الإسلام.

المبحث الرابع: الرق ومفهومه في الجاهلية وفي الإسلام.

وكان منهجي في كتابة البحث كالتالي:

١- وضعت الآيات القرآنية تحت المطلب المناسب التي ذكرتها فيه من القران الكريم ونسبتها إلى السور التي فيها وذكرت رقم الآية.

٢- وذكرت من الأحاديث ما يتعلق بموضوع البحث وقمت بتخريجها وعزوها إلى مصادرها من كتب الحديث قدر الطاقة حيث ذكرت اسم الكتاب والباب ورقم الجزء والصفحة ورقم الحديث

٣- ذكرت معاني المفردات التي أوردتها في البحث من كتب المعاجم واللغة والتفسير والحديث وغيرها من الكتب.

٤- راجعت المعلومات التي ذكرتها في البحث إلى مصادرها الأصلية

٥- أطلعت على بعض المصادر من شبكة الانترنيت التي تتعلق ببعض مفردات بحثي.

وبهذا ختمت البحث واسال الله تعالى أن أكون قد وفقت بما كتبت وأن ينفعني بما تعلمت وان يجعل عملي خالصا لوجه الكريم، والحمد لله رب العلمين والصلاة والسلام على خاتم الرسل والأنبياء محمد (ﷺ) وعلى آله وصحبه أجمعين.

المبحث الأول: مفهوم العبودية

المطلب الاول: تعريف العبودية لغة:

العبودية: مصدر عبد يعبد عبادة ومعبدة، فهو عيد أي ذل وخضع، قيل: أصل العبودية الخضوع والتذلل والتعبد والتنسك والعبادة: الطاعة، وقيل: معنى العبادة في اللغة: الطاعة مع الخضوع، ومنه طريق معبد اذا كان مذللا بكثرة الوطء، وقيل فلان عابد وهو الخاضع لربه والمستسلم المنقاد لأمره[1]، وقيل أصل العبودية: الذل والخضوع، وقال آخرون:

(١) لسان العرب: (٤/ ٨٧٧٢).

العبودة الرضا بما يفعل الرب والعبادة فعل ما يرضى به الرب[1]

المطلب الثاني: تعرف العبودية اصطلاحا:

العبادة: هي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنية والظاهرة فالصلاة والزكاة والصيام والحج وصدق الحديث وأداء الأمانة وبر الوالدين وصلة الأرحام والوفاء بالعهود والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد الكفار والمنافقين والإحسان للجار واليتيم والمسكين وابن السبيل والملوك من الادميين والبهائم والدعاء والذكر والقراءة وأمثال ذلك من العبادة.[2]

وكذلك حب الله ورسوله وخشية الله والإنابة اليه وإخلاص الدين له والصبر لحكمه والشكر لنعمه والرضا بقضائه والتوكل عليه والرجاء لرحمته والخوف من عذابه وأمثال ذلك من العبادة الله عز وجل.[3] وذلك أن العبادة الله هي الغاية المحبوبة له والمرضية له التي خلق الخلق لها كما قال تعالى: ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾ [سورة الذاريات: ٥٦]، وبها ارسل جميع الرسل كما قال نوح لقومه: ﴿واعبدوا الله ما لكم من إله غيره﴾ [سورة الأعراف: ٥٩].

والعبودية: «هي التسليم والإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله وعدم الاسئلة من تفاصيل الحكمة في الأوامر والنواهي والشرائع ولهذا لم يحكي الله تعالى عن امة نبي صدقت بنبيها وآمنت بما جاء بهي انها سألته عن تفاصيل الحكمة فيما امرها الله به ونهاها عنه وبلغها عن ربها ولو فعلت ذلك لما كانت مؤمنة بنبيها»[4].

المبحث الثاني: العبادة في الجاهلية

المطلب الاول: الحالة الدينية للعرب قبل الاسلام:

العرب في الجاهلية في ديانتهم على ثلاثة أصناف[5]:

الصنف الأول: قسم انكروا الخالق والبعث لقوله تعالى: ﴿وقالوا ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الهه﴾ [سورة الجاثية: ٢١].

الصنف الثاني: قسم اعترفوا بالخالق وأنكروا البعث وهم الذين عناهم الله بقوله تعالى: ﴿أفعيينا بالخلق الأول بل هم في لبس من خلق جديده﴾ [سورة ق١٥] ففي الجاهلية ينحسر معنى الألوهية حيث كانوا يظنون أن الاعتراف في الاله بذاته هو الايمان وانه متى اعترف الناس بأن الله هو الههم فقد بلغوا الغاية دون أن يرتبوا على الألوهية مقتضاها الربوبية وهي الدينونة لله وحده ليكون الله ربهم الذي لا رب غيره وحاكمهم الذي لا سلطان لأحد

(١) ينظر: تاج العروس: (٣٣٠/٨).
(٢) العبودية (ج ١/ ص ٤٤).
(٣) ينظر: العبادة في الاسلام (ص ٤٣)
(٤) معجم الفاظ العقيدة (ص ٢٦٧ - ٢٧٨).
(٥) ينظر: المختصر في أخبار البشر (ج ١/ ص٩٨)

إلا بسلطانه فالعبادة عند العرب في الجاهلية تقتصر على مجرد تقديم الشعائر ويحسبون انهم متى قدموا الشعائر الله وحده فقد عبدوا الله فالشعائر هي مظهر من مظاهر الدينونة والخضوع الذي لا يستغرق كل حقيقة الدينونة فانحسار معنى الألوهية على هذا النحو يؤدي بالناس الى الشرك وهم يحسبون أنهم في دين الله كما هو الحال في البلاد الذين يسمون أنفسهم بالمسلمين ويؤدون الشعائر الله بينما أربابهم غير الله لأن بهم هو الذي يحكمهم بسلطانه وتشريعه الذي يدينون له ويخضعون له ويعبدونه[1]

الصنف الثالث: قسم عبدوا الاصنام «يتبين من غربلة الروايات آن عبادة الأصنام كانت منتشرة انتشارا واسعا عند العرب قبل الاسلام فكان اشق شيء عليهم نبذ الأصنام وتركها[2]، فقد وردت روايات تشير بأن عدد الأصنام التي كانت في مكة ثلاثمئة وستون صنما»[3]، فالعرب في الجاهلية اشتهروا بتعدد العبادات فمنهم من كان يتخذ بيتا للعبادة ومنهم من كان يتخذ صنما للعبادة ومنهم من كان يتخذ أحجارا فنزل قوله تعالى: ﴿أفرأيت من اتخذ إلهه هواه﴾ [سورة الجاثية: ٢٣] فكان الرجل إذا سافر فنزل منزلا أخذ اربعة احجار فنظر الى احسنها فأتخذها ربة واذا ارتحل تركه واذا نزل منزلا آخر فعل مثل ذلك، فكان منهم من يختار الاحجار الغريبة ليتعبد بها وان كثيرا من العرب الجاهليين كانوا يحتفظون في بيوتهم اصنام ليتقربوا اليها كل يوم اغلبها كانت تماثيل صغيرة وبعضها احجار صغيرة غير منسقة ولا منحوتة نحتاً جيدا فيعتقدون أن في هذه الأصنام ارواح تستجيب لهم، لقد وردت روايات حول منشأ عبادة الأصنام عند العرب فهناك رواية تزعم بأن الأوثان التي كانت في قوم نوح كانت في الاصل اشخاصا صالحين من قوم نوح فلما هلكوا أوحى الشيطان الى قومهم فأنصبوا في مجالسهم التي كانوا يجلسون بها انصبة وسموها بأسمائها ففعلوا فلم تهلك حتى اذا هلك اولئك تنوسخ العلم بها فعبدت[4].

المطلب الثاني: تصور الاله عند أهل الجاهلية:

كان للعرب شأنهم شأن كل أمة مشركة في كل زمان ومكان آلهة شتى من الملائكة والجن والكواكب يتخذونهم شفعاء الهم عند الله ويعبدونهم ويتوسلون اليهم عند الله[5]، فأصبحت الشفاعة من أهم مظاهر الشرك عند الجاهليين فيقولون أنهم يتعبدونها إلا تقربهم الى الله لقوله تعالى: ﴿ويعبدون من دون الله مالا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله﴾ [سورة يونس: ١٨]، وقوله تعالى: ﴿والذين اتخذوا من دونه أولياء ما تعبدهم إلا ليقونا إلى الله في إن الله يحكم بينهم فيما هم فيه يختلفون﴾ [سورة الزمر:

(١) ينظر: في ظلال القرآن.
(٢) صور من حياة الرسول (ﷺ) (ج١/ص١٠٧)
(٣) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين (ج١/ص ٥١)
(٤) ينظر المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام (ج١١، ص ٦٦-٧٠).
(٥) ينظر: ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين (١/ ٥١-٥٢).

٣][1]، هنالك بعض الأدلة على تصورات الآلهة عند أهل الجاهلية التي جاء القرآن الكريم بأبطالها[2]:

قوله تعالى: ﴿واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزا﴾ [سورة مريم: ٨١].

٢- قوله تعالى: ﴿والذين يدعون من دون الله لا يخلقون شيئا وهم يخلقون أموات غيز أحياء وما يشغرون أيان يبعثون إلهكم إله واحد﴾ [سورة النحل: ٢٠- ٢٢].

٣- قوله تعالى: ﴿والذين اتخذوا من دونه أولياء ما تعبدهم إلا ليقربونا إلى الله في إن الله يحكم بينهم في ما هم فيه يختلفون﴾ [سورة الزمر: ٣].

المبحث الثالث: العبادة في الإسلام

التمهيد:

من المعلوم إن العرب في الجاهلية كانوا متغلغلين في عبادة الأصنام والأوثان فكان من الصعب تغيير ديانتهم ونبذ عبادتهم لكن رسول الله (ﷺ) أختار أصعب الطرق وأكثرها وعورة وأشقها في حياته وهي نبذ عبادة الأصنام وتسفيهها ودعا الى توحيد الله تعالى فكان مقصده (ﷺ) هو إخراج الناس من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، ولقد بذل رسول الله (ﷺ) مجهودا كبيرة سبيل تنوير العرب وتحريرهم ودحر عقيدتهم وتحويلها الى اصفي عقيدة توحيدية، لقد لقي رسول الله (ﷺ) الكثير من العناء وبذل عدة تضحيات فشك الكثير في صدق دعوته وتعرض خلال ابلاغ الوحي إلى أشد الاعتداءات والإهانات بل اضطر الى أن يترك وطنه ويبحث عن مكان آخر يهاجر اليه وتخلى عن الكثير من متع الحياة من أجل نشر العقيدة الإسلامية وبعد هذا العناء والتضحيات التي قدمها تمكن رسولنا الكريم (ﷺ) من حمل هذه الأمة العربية على نبذ الأصنام وقبول الوحدانية الإلهية حيث نقلهم (ﷺ) من الظلمات إلى النور، قام رسول الله (ﷺ) بهدم الأصنام والأوثان بيد صانعيها وعابديها والذين هم كانوا يقاتلونه في سبيل هذه الأوثان والأصنام[3] فلما دخل رسول الله (ﷺ) إلى مكة في رمضان (٨هـ) يوم فتح مكة وجد في الكعبة ثلاثمائة وستون صنما[4] فقام بهدمها وقال عليه الصلاة والسلام: جاء الحق وزهق الباطل وان الباطل كان زهوقا..... [5]

أما الأصنام التي كانت في بقية أجزاء الاراضي العربية ارسل الرسل لهدمها وبذلك تم تجريد الأمة العربية من أغلال الشرك والأوثان وتحويلها إلى عبادة الله عز وجل وبذلك غد الرسول (ﷺ) المحرر الأعظم للبشر في إخراجهم من دركات عبادة الحجارة

(١) ينظر: المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام (١١/ ٦١).
(٢) ينظر: رسالة التوحيد (ج ا/ ص١١٥)
(٣) نبي الرحمة (ج ١/ ص ٧١).
(٤) المصدر نفسه.
(٥) أخرجه البخاري: كتاب تفسير القران/ باب «وقل جاء الحق وزهق الباطل وأن الباطل كان زهوق»/ (٦-٨٦)، (حديث ٤٧٢٠).

الى مستوى عبادة الخالق عز وجل.

المطلب الاول: مفهوم العبادة في الاسلام.

مفهوم العبادة في الاسلام مفهوم واسع وشامل جعلها الله تعالى الغاية من خلقه فقال تعالى: ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾ [سورة الذاريات: ٥٦] فحياة المسلم كما ارادها الله تعالى كلها عبادة خالصة من جميع جوانبها العامة والاعتقادية والعلمية وغيرها من جوانب الحياة.... فالمسلم يعبد ربه في كل تحرك وسكون قال تعالى: ﴿قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين﴾ [سورة الأنعام: ١٦٢] وإذا ما عرف العلماء العبادة بالخضوع الشامل فلا بد لنا أن نلاحظ أن العبادة بالنسبة للإنسان تختلف عن غيره من المخلوقات فالكون كله بأملاكه وأفلاكه ونباتاته وحيواناته وجماداته خاضعة لله عز وجل لا يخرج عن طاعته ابدا قال تعالى: ﴿ثم استوى إلى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرها قالتا اتينا طائعين﴾ [سورة فصلت: ١١].

فالإنسان مميز عن سائر المخلوقات بقيد وهبة الله تعالى إياه وهو الإرادة، فعبادة الإنسان لله في خضوعه الارادي الشامل وطاعته المطلقة لله عز وجل ومن هنا نلاحظ إن القرآن الكريم استعمل لفظة العبادة بالنسبة للإنسان استعمالا يشعر بهذا القيد الارادي لقوله تعالى: ﴿إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين﴾ [سورة غافر: ٦٠]، فالاستكبار عن العبادة أمر ارادي لا يكون إلا من الجن والأنس أما غيرهم من الملائكة لا يعرفون الاستكبار لأنهم مفطورون على الطاعة والخضوع لقوله تعالى: ﴿إن الذين عند ربك لا يستكبرون عن عبادته﴾ [سورة الأعراف: ٢٠٦].

وبهذا يشتمل مفهوم العبادة في الاسلام على عنصرين أساسيين هما:

١- الخضوع الشامل الله عز وجل.

٢- أن يكون الخضوع ارادية مقصودة.

فالخضوع الارادي لله عز وجل عنوان العبادة الحقيقية من الإنسان فبإمكان المسلم أن يجعل حياته كلها عبادة حتى عاداته و غرائزه من طعام و شراب و سكن و متعة في هذه الحياة[١] افقي الحديث الشريف «وفي بضع أحدكم صدقة قالوا: يا رسول الله أيأتي أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر؟ قال: «أرأيتم لو وضعها في حرام أكان عليه وزر ؟ فكذلك إذا وضعها في حلال كان له أجر»[٢].

وقال: «ايضة على كل مسلم صدقة قيل: أرأيت إن لم يجد! قال: يعتمل بيديه فينفع نفسه ويتصدق قيل: أرأيت إن لم يستطع ؟ قال: يعين ذا الحاجة الملهوف قبل: أرأيت إن لم يستطع ؟ قال: يأمر بالمعروف أو الخير قيل: أرأيت إن لم يفعل ؟ قال يمسك عن الشر فأنها صدقه»[٣].

---

(١) ينظر: الإسلام اصوله ومبادئه (ج ١/ ١٧٥-١٧٧).

(٢) أخرجه مسلم: كتاب الزكاة/ باب بيان أن اسم الصدقة يقع على كل نوع من المعروف (٨٢،٣) ، (٢٣٧٦).

(٣) اخرجه البخاري: كتاب الزكاة/ باب على كل مسلم صدقة فمن لم يجد فليعمل بالمعروف (٢،٥٢٤) (١٣٧٦)

المطلب الثاني: فضائل العبادة في الاسلام:

للعبادة في الاسلام فضائل كثيرة، ومنها:

* العبادة في الاسلام هي الغاية المحبوبة لله عز وجل والمرضية له وهي التي من أجلها خلق الله تعالى الخلق وهي التي مدح القائمين بها وذم المستكبرين عنها.

* العبادة في الاسلام لم تشرع للتضييق عن الناس ولا لإيقاعهم في الحرج وإنما شرعت لحكم عظيمة ومصالح كثيرة لا تحصى ولا تعد.

* العبادة في الاسلام تزكي النفوس وتطهرها وتسمو بها الى اعلى درجات الكمال الانساني.

* ان الانسان محتاج الى العبادة أعظم حاجة بل هو مضطر لها أشد الضرورة فالإنسان بطبعه ضعيف وفقير إلى الله وجسده بحاجة الى الطعام والشراب فكذلك قلبه وروحه بحاجة إلى العبادة والتوجه الى الله سبحانه وتعالى بل أن حاجة قلبه وروحه أعظم بكثير من حاجة جسده فلا تطمئن النفوس في الدنيا إلا بذكر الله وعبادته.

العبادة في الاسلام تسهل على العبد فعل الخيرات وترك المنكرات وتسليه عند المصائب وتخفف عنه الالام. فيتلقاها بقلب منشرح ونفس مطمئنة[1].

* ومن فضائلها أن العبد يتحرر بعبوديته لربه من رق المخلوقين والتعلق بهم والخوف منهم ورجائهم وبهذا يكون عزيز الجانب مرفوع الرأس على القدر[2].

* ومن فضائلها ايضا اليسر ورفع الحرج وإزالة العنت ورفع الاصار[3] والأغلال عن اعناق المتكلفين فقال تعالى: ﴿ولا تحمل علينا إصرا كما حملته على الذين من قبلنا﴾ [سورة البقرة: ٢٨٦].

المبحث الرابع: الرق ومفهومه في الجاهلية وفي الاسلام

المطلب الاول: مفهوم الرق:

اولا: الرق في اللغة:

"الراء والقاف أصلان أحدهما صفة تكون مخالفة للجفاء والثاني اضطراب شيء مانع فالأول الرقة ويقال رق يرق رقه فهو رقيق ومنه الرقاق وهي الأرض اللينة والرقق ضعف في العظام[4]، والرق بالكسر من الملك وهو العبودية والرق بالفتح ما يكتب فيه ومنه قوله تعالى: ﴿في رق منشور﴾ [سورة الطور: ٣] وترقيق الكلام تحسينه وترقق أي له قلب رقيق ورقوق الماء فترقرق أي جاء وذهب»[5] والرقيق نقيض الغلظ والثخين والرقة ضد الغلظ والجمع رقاق ورقائق والرقة الرحمة ويقال رققت له أرق أي رحمته ورق وجهة استحيا[6] والرق الضعف ومنه رقه

(١) ينظر: العبادة في الاسلام (١/ ١٤٩).

(٢) العبادة في الاسلام (١/ ١٠٦).
(٣) نفس المصدر السابق (١/ ٩٣).
(٤) معجم مقاييس اللغة (٢/ ٣٧٦).
(٥) ينظر: مختار الصحاح (٢٦٧/١).
(٦) ينظر لسان العرب (١٠/ ١٢٠ -١٢٢).

القلب...[1]

ثانيا: الرق في الاصطلاح:

الرق في اصطلاح الشريعة الاسلامية: هو عجز حكمي يتلبس الانسان بسبب الكفر ويظهر هذا العجز الحكمي بفقدان اهلية التملك وفقدان الحقوق المدنية[2]، ويكون مانعة للإرث مطلقا[3]

ويطلق الرق اصطلاحا على:

الملك والعبودية أي نقيض العتق والحرية والرقيق بمعنى العبيد ويطلق على المفرد والجمع وعلى الذكر والانثى أما العبيد الذكر فهو الرقيق وله الفاظ اخرى دالة على الرقيق على الرقيق في الفتى والغلام أما الأنثى يطلق عليها الأمه ولها الفاظ أخرى دالة عليها وهي الفتاة والجارية ومالك الرقيق هو السيد والمولى.[4]

المطلب الثاني: الرق في الجاهلية:

الرق نظام قديم قدم المظالم والاستعباد والطبقية والاستغلال في تاريخ الإنسان حيث أهمل كرامة الانسان وجعله مقيدة بيد مالكة الذي يسمى بالسيد او المولى حيث كانوا يعاملون الرقيق بأبشع انواع المعاملات والاهانات حيث كان الرقيق او العبيد في الجاهلية ملكة لمالكهم إذ ليس لعم الحق بالتصرف في أنفسهم إلا بأذن مالكيهم، ففي الرق اهدار كحرية الانسان لوقوعه في الرق وحتى انه لا يحق له أن يتصرف بنفسه اي جسمه إلا بموافقة سيده واقراره لأن سيده مالك رقبته حيث أن الرقيق كانوا ملكا لسيدهم فمن حق المالك أن يتصرف بملكه كيف يشاء حيث كان من حق المالك أن يبيع رقيقه أو اهدائه او اعطاءه كهبة إلى من يشاء دون الحاجة الى اخذ رأي الرقيق ولم يكن الرقيق في الجاهلية يملكون شيئة لان الرقيق وما يملكونه ملك لمالك او لسيد ولم يكن لهم حق التوارث لأنه أرثهم لسيدهم إذا لا مال لهم.[5]

فللمالك الحق في بيع الرقيق وقبض الثمن في أي مكان او اي زمان يشاء ويختار وليس للرقيق حق الاعتراض على مالكه وللمالك او السيد الحق في أن يكلفهم بأي عمل مهما كان شأنه سواء أكان عملا محترمة أم عملا وضعية فقوانين الرق في الجاهلية تعد الرقيق ملكا لا يختلف عن أي نوع من أنواع الملكية[6]

فالرق في الجاهلية اصله اما من الأسر او من بيع الآباء لأبنائهم عن حاجة كأن تكون الأسرة في ضيق وعسر فلا يكون امامها غير بيع أبنائها السد حاجتهم ولضمان معيشة الابناء وهذا لا يكون الا عند الطبقات الضعيفة وأيضا الدين الذي يعد من أهم المنابع التي مونت الجاهليين بالرقيق فكان من حق الدائن بيع مدينة إذا لم يتمكن من الايفاء بدينه وأيضا أولاد الرقيق يكونوا رقيقة وملكة لمالك الرقيق إذ لا يقتصر

(١) ينظر: التعريفات (١/ ١١١).

(٢) ينظر: الفقه المنهجي على مذهب الإمام الشافعي (ج ٨ ص ١٣١، ١٣٢)، وينظر: التعريفات (ص ١١١).

(٣) ينظر: الفقه الاسلامي وادلته (١٠/ ٣٨٥).

(٤) ينظر: شرح عمدة الأحكام.

(٥) ينظر: المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام (١٠/ ٢٤٢).

(٦) ينظر المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام (١٠/ ٢٤٥، ٢٤٦.٢٤٠).

الرق على رقبة الاصل بل يدخل فيه كل ما ينجبه وما ينجبه أحفاده واحفاد احفادهم وهكذا كان الرق في الجاهلية عقوبة ابدية ما لم يمن مالك الرقيق على رقيقه بعتقه فإذا استولد المالك أمته فولدت له مولودة واعجبه اعترف به وعده ابنة شرعية له وهذا الاعتراف يكون عنق الرقبة ابنة.[1]

المطلب الثالث: موقف الإسلام من الرق:

عندما جاء الإسلام لم يحرم الرق بنص صريح لكن سعى الى تعديله فجاء الإسلام ليرد لهؤلاء العبيد كرامتهم وانسانيتهم فقال (ﷺ): «من قتل عبده قتلناه ومن جدع عبده جدعناه ومن أخصى عبدنا خصيناه»[2] حيث جاء الاسلام ليقرر وحدة الأصل والمنشأ لقوله (ﷺ): "كلكم من آدم وآدم من تراب»[3] وانه لأفضل السيد على عبيد مجرد انه هذا سيد وهذا عبد وانما الفضل بالتقوى لقوله تعالى: ﴿يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾ [سورة الحجرات: ١٣]، وقوله(ﷺ): "الا لا لفضل لعربي على اعجمي ولا فضل لأعجمي على عربي ولا اسود على احمر ولا احمر على اسود الا بالتقوى»[4] حيث امر الاسلام السادة أن يحسنوا معاملتهم بالرقيق لقوله تعالى: ﴿وبالوالدين إحسانا وبذي القربى واليتامى والمساكين والجار ذي القرى والجار الجنب والصاب بالجنب وابن السبيل وما ملكت أيمانكم إن الله لا يحب من كان مختالا فخورا﴾ [سورة النساء: ٣٦]، فلقد عامل الاسلام الرقيق الذين أسلموا بأفضل معاملة فكان اسلامهم طريقة الى التخلص من الرق بطريق مشروع فلقد وجد الرقيق في الإسلام العزة والكرامة[5] ووجدوا في اخوة الاسلام ما جعلهم يعيشون أحرارا يرتقون بها الى أسمى المراتب حيث ساوى رسولنا الكريم (ﷺ) العبيد والاحرار ودمجهم بالعشائر فأكسبهم فخرها وشرفها حيث أقام نسيج اجتماعي التحم فيه الأرقاء والاحرار فأصبح لهم نسب عن طريق الولاء قال (ﷺ): "الولاء لحمة كلحمة النسب»[6] فأصبح الأرقاء سادة في أقوامهم بعد إن كانوا عبيدة فيهم حيث رفع الاسلام مستواهم من مستوى البشرية الظالمة الى مستوى سادة العرب من قريش والدليل على ذلك قول عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) وهو في الحسب والنسب عن بلال الحبشي بعد أن اشتراه أبو بكر (رضي الله عنه) وأعتقه: «سيدنا اعتق سيدنا"[7]

(١) ينظر: الرق في الجاهلية والاسلام (ج ٥٢، ص ٨٣).

(٢) أخرجه النسائي: كتاب القسامة/ باب القود من السيد للمولى (٨/٢٠) (٤٧٩٣).

(٣) أخرجه الترمذي: أبواب تفسير القرآن/ باب ومن سورة الحجرات (٣٨٩٥)/ (٣٢٧٠).

(٤) أخرجه أحمد: مسند باقي الأنصار/ حديث رجل من أصحاب رسول الله (ﷺ) (٥/ ٤١١)/ (٢٣٥٣٦).

(٥) ينظر: الرق في الجاهلية والاسلام (٥٣/ ١٦١، ١٦٢).

(٦) الولاء: هو ميراث يستحقه المرء بسبب عتق شخص في ملكه أو بسبب الموالاة ، التعريفات (١/ ٨٠).

(٧) أخرجه أحمد: باقي مسند الانصار (٤٧/ ٤٧٨)/ (٢٢٣٩١).

وهكذا فإن الاسلام قام بتحرير العبيد الأرقاء لأن الرق في نظره الموت والحرية حياة وان شرعنا الشريف جاء بالترغيب بالإعتاق بوجوه متعددة منها:

الوجه الأول: جعل الاسلام كفارة الاعتاق تحرير رقبة نتيجة القتل الخطأ لقوله تعالى: ﴿ومن قتل مؤمنا خطأ فتحريز رقبة مؤمنة﴾ [سورة النساء: ٩٢]، فقد فسر الامام النسفي هذا فقال: (ان القائل عندما أخرج نفسا مؤمنة من جملة الأحياء لزمه أن يدخل نفسه مثلها في جملة الأحرار لأن إطلاقها من قيد الرق كإحيائها من قبل أن الرقيق ملحق بالأموات إذا لرق أثر من آثار الكفر والكفر موت حكمة)[١]

الوجه الثاني: جعل الاسلام كفارة اعتداء السيد أو المولى على عبده او جرحه هو اعتاق عبده جزاء لفعله فقد ورد في الحديث الشريف «من مثل بعبده فقد عتق عليه[٢] أي من قطع منه اصبعا او جرحه في وجهه أو ضربة او اساء اليه كفارة ذلك اعتاقه جزاء له على اعتدائه على المملوك وفي بعض الأحاديث ورد انه النبي محمد (ﷺ) رأى رجلا من أصحابه يضرب عبدا له فقال: اعلم ان الله اقدر عليك منك على هذا الغلام فقال الرجل: هو حر لوجه الله فقال النبي (ﷺ): ''لو لم تفعل للفحتك او لمسستك النار»[٣] اي جعل ضربه له ذنبا وجعل كفارته ازالة الرق عنه[٤]

الوجه الثالث: جعل الاسلام تحرير الرقيق كفارة للكثير من الذنوب والخطايا فتحرير الرقيق سبيل لتحرير الانسان من عذاب يوم القيامة إذ في عتق كل عضو من أعضاء الرقيق عتق لكل عضو من اعضاء سيده من النار والدليل قوله (ﷺ): «ايما أمرئ مسلم أعتق امرءا مسلمة استنفذ الله بكل عضو منه عضوا منه من النار[٥].

الوجه الرابع: جعل الاسلام كفارة الحنث في اليمين تحرير رقبة لقوله تعالى: ﴿لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الأيمان فكفارته إطعام عشرة مساكين من أوسط ما تطعمون أهليكم أو كسوتهم أو تحرير رقبة﴾ [سورة المائدة (٨٩)]

الوجه الخامس: جعل الاسلام كفارة الظهار[٦] عتق رقبة لقوله تعالى: ﴿والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا فتحرير رقبة من قبل أن يتماسا ذلكم توعظون به والله بما تعملون خبير﴾ [سورة المجادلة﴾ ، ولا يحل للمظاهر مراجعة زوجته إلا بعد

(١) مدارك التنزيل وحقائق التأويل (ج ١ ، ص ٢٤٥).

(٢) أخرجه ابن ماجه: كتاب الديات/ باب من مثل بعبده فهو حر (٢/٨٩٤)/ (٢٦٧٩).

(٣) أخرجه البخاري: كتاب العتق/ باب اذا قال رجل لعبده: هو الله ونوى العتق (١٤٦٤)/ (٢٥٣١).

(٤) ينظر الرق في الجاهلية والاسلام (١/٨٧، ٨٨)

(٥) أخرجه مسلم: كتاب العتق/ باب فضل العتق (٨/٢٨)/ (٢٧٧٨)

(٦) الظهار: هو أن يقول الرجل لامرأته أنت علي كظهر أمي وكانت العرب في الجاهلية تطلق نساؤها بهذه الكلمة وكان الظهار في الجاهلية طلاق ولما جاء الإسلام نهي عنه وأوجب الكفارة على من ظاهر وأصله مأخوذ من الظهر/ لسان العرب (٤/ ٥٣٨)

العتق[1]

الوجه السادس: نجعل الإسلام العتق كفارة للإفطار العمد في رمضان كما ثبت أن أبي هريرة قال "إن رجلا أفطر في رمضان فأمره رسول الله (ﷺ) يكفر بعتق رقبة أو صيام شهرين متتابعين أو إطعام ستين مسكينا[2].

الوجه السابع: حبب الإسلام إلى الناس عتق العبيد وتخليصهم من نير العبودية ومنحهم الحرية لوجه الله تعالى ووعدهم على ذلك الجنة قال تعالى: ﴿فلا اقتحم العقبة• وما أدراك ما العقبة • فك رقبة﴾ [سورة البلد: ١١- ١٣] بل إن الإسلام حض من لم يستطيع أن يتفرد بتحرير عبد على الاستعانة على العنق والاشتراك فيه مع غيره[3] وكما جعل الإسلام الحرية هي الأصل الذي يولد عليه الإنسان والدليل قول عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) "متى استعبدتم الناس وقد ولدتكم أمهاتكم أحرارا "وزيادة في رعاية مشاعر الرقيق قام رسولنا الكريم (ﷺ) بتغيير كنية الرقيق فقال (ﷺ) لا يقولن أحدكم عبدي وأمتي ولا يقولن المملوك ربي وربتي وليقل المالك فتاي فتاتي وليقل المملوك سيدي سيدتي فإنكم المملوكون والرب الله عز وجل»[4]

وعلى مالك الرقيق أن يطعمه مما يأكل ويلبسه مما يلبس ولا يكلفه ما لا يطيق من العمل فقد ورد عن أبي هريرة (رضي الله عنه) لرجل ركب خلفه وعبده يجري: "احمله خلفك فأنه أخوك وروحه مثل روحك "وقد جعل الاسلام عقوبة قتل العبد بالقتل لقوله (ﷺ): "من قتل عبده قتلناه من جدع عبده جدعنا هو من اخصي عبده خصيناه»[5]

الخاتمة واهم النتائج

أحمد الله سبحانه وتعالى الذي وفقني على إتمامي لهذا البحث المتواضع الذي تحدثت فيه عن العبودية المطلقة لله– عز وجل– ومن خلال كتابتي لهذا البحث توصلت إلى أهم النتائج:

١. أن رسولنا الكريم (ﷺ) أبطل الكثير من عقائد الجاهلية ونفاها وقرر عقيدة التوحيد.

٢. لقد بذل (ﷺ) مجهودا كبيرا في سبيل تنوير العرب وتحريرهم ودحر عقيدتهم وتحويلها إلى أصفى عقيدة.

٣. يعد رسولنا الكريم (ﷺ) المحرر الأعظم

(١) محاضرات في الحديث التحليلي (ج١ ، ص ٢٠٩).

(٢) هو عبد الرحمن بن صخر صاحب رسول الله (ﷺ) كان اسمه في الجاهلية عبد شمس وكنيته أبو الأسود فسماه رسول الله (ﷺ) عبد الله وكناه أبو هريرة روى عن النبي (ﷺ) واسامة بن زيد وعمر بن الخطاب روى عنه ابراهيم بن اسماعيل وابراهيم بن عبد الله ، اسلم في خيبر سنة سبع قال سفيان بن عيينة: مات أبو هريرة وعائشة سنة ٥٧هـ وهو ابن ثمان وسبعون سنة روى عنه ثمانمائة رجل او اكثر من أهل العلم (تهذيب الكمال: ٣٧٧).

(٣) أخرجه أبو داود: كتاب العتق/ باب فيمن ملك دارهم محرم ، (٢٩٦٩)، ومحاضرات في الحديث التحليلي (٢١٠).

(٤) أخرجه أبي داود: كتاب الأدب/ باب لا يقل المملوك ربي وربتي (٤٥٠٤)/ (٤٩٧٧).

(٥) سبق تخريجه.

للبشر في إخراجهم من دركات عبادة الحجارة إلى مستوى عبادة الخالق.

٤. يجب على الإنسان أن يتواضع ويبتعد عن الأمور الذميمة التي كانت في الجاهلية فجاء الإسلام بالتحذير منها والابتعاد عنها.

٥. يشتمل مفهوم العبادة في الإسلام على عنصرين أساسيين هما:

أ. الخضوع الشامل لله عز وجل.

ب. كون هذا الخضوع مقصود إراديا.

٦. بإمكان الإنسان أن يجعل حياته كلها عبادة حتى في عاداته وتقاليده وغرائزه من طعام وشراب وسكن ومتعة في هذه الحياة.

٧. الإسلام دين الحرية يدعوا إليها ويعين على تحقيقها وسعى بتشريعاته إلى تضيق منافذ العبودية وتوسيع مسالك العتق والحرية وصولا إلى منع الرق نهائية.

٨. العبد في الإسلام من حيث الإنسانية لا يختلف عن السيد فهو يتمتع بكل ما يتمتع به المالك من معامله كريمة وخضوع للأوامر والنواهي.

المصادر والمراجع
بعد القرآن الكريم.

١. الإسلام أصوله ومبادئه: محمد بن عبد الله بن صالح السحيم، ط١، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد المملكة العربية السعودية، لسنة ١٤٢١ه.

٢. تاج العروس من جواهر القاموس: محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني أبو الفيض الملقب المرتضى الزبيدي.

٣. التعريفات: علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني، تحقيق جماعة من العلماء، ط ١ لسنة١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م)، دار الكتب العلمية - بيروت

٤. تهذيب الكمال: يوسف بن الزكي بن عبد الرحمن أبو الحجاج المزي، تحقيق: د. بشار عود معروف، ط١، (١٤٠٠هـ- ١٩٨٠م)، مؤسسة الرسالة - بيروت.

٥. الجامع الصحيح سنن الترمذي: محمد بن عيسى ابو عيسى الترمذي السلمي، تحقيق: أحمد محمد شاكر وجماعة، بلا طبعة، دار أحياء التراث العربي - بيروت.

٦. الجامع الصحيح المختصر: محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، اليمامة - بيروت، لسنة ١٤٠٧هـ -١٩٨٧م.

٧. الجامع المصحح المسمى بصحيح مسلم: أبو الحسن مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري، دار الآفاق الجديدة - بيروت / دار الجيل - بيروت.

٨. رسالة التوحيد: الشيخ اسماعيل بن عبد الغني الدهلوي، ط١، وزارة الشؤون الاسلامية والأوقاف والدعوة والارشاد - المملكة العربية السعودية لسنة

(١٤١٧هـ).

٩. الرق في الجاهلية والاسلام: ابراهيم محمد حسن الجمل، مجلة الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة.

١٠. سنن ابن ماجة: محمد بن يزيد أبو عبدالله القزويني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر –بيروت.

١١. سنن أبي داود: أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني، بلا طبعة، دار الكتاب العربي– بيروت.

١٢. شرح عمدة الأحكام: عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الله، بدون بطاقة.

١٣. صور من حياة الرسول: امين ديدار، بلا طبعة، دار المعارف – مصر.

١٤. العبادة في الإسلام: الأمام يوسف القرضاوي، ط ٢٩ لسنة (١٤٣٠هـ – ٢٠٠٩م).

١٥. العبودية: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني، تحقيق: محمد زهير الشاويش، ط ٧ المجددة، المكتب الاسلامي للنشر، ١٤٣٦هـ. ٢٠٠٠م.

١٦. الفقه المنهجي على مذهب الإمام الشافعي: د. مصطفى الخن ومصطفى البغا وعلي الشرجي، ط، دار القلم للطباعة، لسنة ١٤١٣هـ.

١٧. في ظلال القرآن: سيد قطب حسين الشاربي، ط٤٣، دار الشروق لسنة ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٤م.

١٨. لسان العرب: محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، ط١، دار صادر – بيروت. ١٩. ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين: ابو الحسن علي الحسيني الندوي، ط، موقع صيد الفوائد.

٢٠. المجتبى من السنن: أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائي، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، ط ٢ لسنة(١٤٠٦ - ١٩٨٦)، مكتب المطبوعات الإسلامية – حلب.

٢١. محاضرات في الحديث التحليلي: للأستاذ الدكتور ابو لبابة الطاهر حسين، بلا طبعة، دار العرب الاسلامي.

٢٢. مختار الصحاح: محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، تحقيق: محمود خاطر، مكتبة لبنان ناشرون، طبعة جديدة، ١٤١٥هـ. ١٩٩٥م.

٢٣. المختصر في أخبار البشر: أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن على بن محمود، المطبعة الحسينية المصرية،ط١.

٢٤. مدارك التنزيل وحقائق التأويل: عبد الله بن أحمد بن محمد بن حافظ أبو البركات النسفي، بلا طبعة، دار النفائس – بيروت لسنة ٢٠٠٥.

٢٥. مسند الإمام أحمد بن حنبل: أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، ط٢ (١٤٢٠هـ -١٩٩٩م)، مؤسسة الرسالة.

٢٦. معجم ألفاظ العقيدة: أبي عبد الله عامر عبد الله فالح، ط١، مكتبة العبيكان – بيروت، ١٩٩٧م.

٢٧. معجم مقاييس اللغة: أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، بلا طبعة،دار الفكر، ١٣٩٩ - ١٩٧٩ م.

٢٨. المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام:

الدكتور جواد علي، ط٤ لسنة (١٤٢٢ه - ٢٠٠١م)، دار السامي.

٢٩. نبي الرحمة: محمد مسعد ياقوت، تقديم: د. فريد عبد الخالق، ط١ لسنة (٢٠٠٧م)، الزهراء للاعلام العربي.